



سحيم





سحيم / شعر عربيّ معاصر
غازي عبد الرحمن القصيبي / مؤلّف من السعوديّة
الطبعة الثانية ، ٢٠٠٢



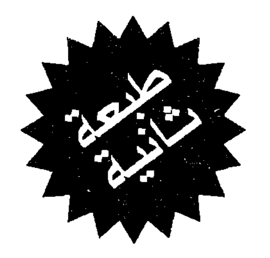
المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي :موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس :٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
ساطع سيبي ®
لوحة الغلاف :
نيلون هاراسغاما / سريلانكا
الصفّ الضوئيّ :
أزمنة للنشر والتوزيع ، عمّان
التنفيذ الطباعيّ :

ISBN 9953-441-31-6



غازي عبد الرحمن القصيبي







من المؤكَّدِ تاريخياً أن عشيرة بني الحسحاس قتلت عبدها الشاعر سحيم حرقاً لتغزّله في نساء العشيرة قرابة سنة ٣٥ من الهجرة . فيما عدا ذلك ، لا نعرف عن حياة الشاعر سوى نتف منثورة هنا وهناك يغلب على الكثير منها طابع الأسطورة . وأوفى المراجع المتوفّرة حتى الآن « ديوان سحيم » (١) . وأنا مدين لهذا الديوان بما أوردت هنا من شعر سحيم (٢) وبلمحات عديدة من حياته .

---

(١) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، بتحقيق الأستاذ عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٩ هـ . ١٩٥٠ م .

(٢) كل الأشعار الموضوعة بين قوسين من شعر سحيم .

يُعودُون بعد قليلٍ .

زمانٍ يطولُ ويقصرُ .

لكنْ يعودُون .

كَيْ يقذفونَي في النارِ . تلك التي لا تزالُ تؤَجُ .

وتلعقُ ما كوّم الأشقياءُ عليها .

صغارُ الحساحسِ !

أين كبارُ الحساحسِ ؟

هل ذهبوا يقتُلونَ الجميلاتِ ؟

أم يكرعون المزيدَ مِنَ الخمرِ ؟

أم ينبشون إعترافاً جديداً وشعراً قديما ؟

يعُودونَ ، كي يشتمونَيَ . كي يضربونَي .

حين يجيئون يبصقُ أقذرُهم فوق وجهيْ .

ويرتجزونَ .

وينشد شعرورُهم في هجائي البذاءاتِ .

ثم يجرونّني ، مثلَ شاةٍ ، إلى النارِ .

حيث أصيرُ شِواءً .

ويصبح هذا القوامُ الجميلُ رمادا .

يضمُّ الدُخانُ دخانا .

يعودُ الترب ترابا .

سحيمُ !

سحيمُ !

سحيمُ !

ـ ولثغته ، والملامحُ سَوداءُ حَسناءُ ،

والعضلاتُ التي ضَفرَتها أصابعُ

أحلى البناتِ ـ

يصيرُ هباءً .

سحيمُ الوسيمْ ؟!

وكيف يكونُ السوادُ وسيماً ؟

يكونُ !

سميّةُ كانتْ تحبُّ السوادَ

سميّةُ تلك التي راودتْ عَنتر الأَسود العَبْدَ
عن جسمهِ . فتأبّى .
تأبًى . وقالت له : « هَيْتَ لكْ ! »
وجاء أبوهُ . وصاحَت سُميّةُ :
« شدّادُ ! عبدُك هذا أرادَ إفتراشي ! »
وجُنّت سِياطٌ . وسالتْ دماءْ .
وما لوْن تلك الدماءْ ؟
أننزفُ ـ نحنُ العبيدَ ـ دماً ؟
أم هو الحبرُ أسودَ في لونِ سَحَنتِنا ؟

وسميّةُ تبكي .

« أمن سُميّة دمعُ العين مذروفُ ؟

لو أن ذا منك قبل اليوم معروفُ ! » (١)

وقد زعموا أنني قلتُ أبياتَ عنتَر .

ما قُلتُها قطُّ .

لكنهم يحسبُون قصَائدَ كلِّ العبيدِ سواءْ .

سُميّةُ عنتَر غيرُ سميّة معشوقتي .

آهِ ! لو أبصرتني سميّةُ .

والقَيدُ في قدميَّ .

وهذا الدخانُ يعربِدُ في مُقلتيَّ .

---

(١) يورد الديوان هذا الشعر لسحيم ، والمشهور أنّه لعنترة .

أطلّتِ سُميّةُ معشوقتي !

كيفَ جاءت سميّةُ بعد السنينِ الطِوالِ .

تفكُّ الوثاقَ . وتمسحُ عن شفتيَّ الدِماء .

وتأخذُني للغديرِ . وتغسلُ وجهيْ .

وتلثمُ وجهيْ ؟!

تدبّ الحياةُ .

وأرجع ذاك الفتى الكنتُ قَبْل مَشيبِ الزمانْ .

وكنتُ صبيّاً أسوقُ الجِمالْ .

وكانت سميّةُ بنتاً . تسوُق شياهَ أبيها .

وكانت سميّةُ أصغَر أُنثى . وأكبَر أُنثى .

ونهد سُميّةَ كانَ كرُمّانةٍ بعد ما نَضِجتْ .

كان ليمونةً .

كان مِفتاحَ بئرٍ .

وكنتُ الغريقْ .

وكانت سميّة ترعَى شياهَ أبيها .

وكانت سميّةُ أصغْرَ أنثى . وأكبَر أنثى .

وقلت لها :

« يا سميّةُ !

هاتي الشياه إلى عُشْبِ قلبي .

وجُرّي الشِيَاه إلى ماءِ عيني ! »

وقلتُ لها :

« يا سميّةُ ! »

وابتسمتْ . آهِ ! ما أجمَل البَدر في التّم .

عشرٌ وخمسٌ .

وقالتْ :

« غرابٌ شديدُ السوادِ ! »

ضحِكتُ . وقلتُ :

« غرابٌ وعبدٌ !

وأنتِ أميرةُ كلّ النِساءْ .

فهل تشفَقين على العْبدِ .

فالعبدُ يحترفُ الشِعرَ .

والعبدُ يسكنهُ العِشقُ .

والعبدُ يحملُ في روحه . حُلمَ كلّ الصحارى بوَاحاتِها

حُلم كلٌ العبيد بساداتِها ؟! »

ضَحِكتْ . وضَحِكتُ . وقالتْ :

« غرابٌ عجيبٌ !

عهدنا الغُراب يحبُّ النعيبَ .

وأنت تُحبّ النسيب » .

فقلتُ :

« غرابٌ عجيبٌ !

يطيّرهُ الشوقُ ذاتَ اليمينِ وذَات الشِمالْ .

وانتِ قطاتي ! »

وسِرب القطا كان يعبرُ ، لحظتَها ، والتفتنْا إِليهْ .

وقالت سميّةُ :

« هذي القطاةُ تخافُ الغرابَ » .

وقلتُ :

« غرابٌ عجيبٌ عجيبْ !

يحبُّ الطيورَ جميعاً .

يحبّ الأنامِ جميعاً .

يحبُّ الوحوشَ جميعا . »

وقالت سميّةُ :

« كيف تحبُّ الوحوشَ ؟! » .

وقلتُ :

« سميّةُ !

هذا البعيرُ صديقي .

وكبشُكِ هذا رفيقي .

وتلك المهاةُ زَميلةُ دربي .

وبيني وبين الذئاب عهودُ وئامٍ .

وتأتي العصافيرُ كلَّ صباحٍ .

إلى راحتي . ثم تلقط منها البقايا التي

خلّفتها الأفاعي .

وأنتِ أميرةُ كلّ الوحوشِ .

« فهل تَشفقِينَ على العبْدِ ؟!»

قالت سُميّةُ :

« عبدُ عجيبٌ عجيبْ ! »

وأين سميّةُ ؟!

لا ! لم تجيءْ !

كنتُ أحلمُ . والنارُ تلهثُ قُربْي .

وبَعْد قليلٍ .

يعوُدون كيْ يقذفونيَ في النارِ .

ما أجملَ الحُلمَ قبل هجومِ الكوابيسِ .

ما أجملَ الحُلمَ . يُرجعني لسميّة .

أيامَ كنتُ صبيا .

وكانتْ سميّةُ في العشرِ والخمسِ .

أصغرَ أنثى . وأكبرَ أنثى .

وكنتُ أنا عَبْدها . وهي كانت أميرَةَ كلِّ الرجالِ .

وكنتُ أنا عَبدها .

كنتُ أهوى على رِجلها وأقبّلُها .

ثم أهوى على كفّها وأقبّلهُ .

ثُمّ . ثمّ .

وهذا الدُخانُ اللعينُ يطاردُ طَيْفَ سُميّةَ .

كانت سميّةُ أوّل بنتٍ تحبُّ الغرابَ .

وأولُ بنتٍ تقولُ :

« غرابٌ وسيمٌ وسيمْ » .

وساعَتهَا . صرتُ أبهى الرجالِ .

وما زلتُ أبهى الرجالْ .

وأجمَل من هؤلاءِ .

شديدي البياضِ .

شديدي الأنوثة . رغم اللِحى والشواربِ .

أجملَ من هؤلاء الرجالِ / النساءِ .

الذين يُعودون بعد قليلٍ .

لكْي يحرقونيَ .

يبقى رمادي الرمادَ الوسيمَ .

الرمادَ الرُجولّيَ بين شحومِ الرجالِ / النساءْ .

وحين عَشقتُ سميّةُ حوّلني العِشقُ حُرّاً .

وما زلتُ حُرّا .

« إنْ كنتُ عبداً .. فنفسي حُرّةٌ كَرَماً

أو أسوُد اللون .. إنّي أبيضُ الخُلُقِ »

طليقاً ـ أجوبُ الصحارى . كظبيٍ نفورٍ .

أجوبُ السماءَ . كنجمِ سُهيلْ .

أجوبُ النخيلَ . نسيماً وريحاً .

أعبدٌ وحُرٌّ ؟!

نعمْ !

أنا عبدُ سميَّة !

عبدُ الحساحسِ !

عبدُ الجميلاتِ !

عبدٌ وحُرٌّ !

وقد أمنحُ الشمسَ عندَ الظهيرةِ جِلدةَ وجهي .

ولا أمنحُ الشمسَ حُريّتي .

وسميّةُ أعطيتُها كلَّ ما يكنِزُ القلبُ .

لكنني ما سخوْتُ عليها بحريّتي .

أنا عبدٌ وحرٌّ !

سميَّةُ كانتْ مليكَةَ كلِّ النساءِ .

وكنتُ - أنا العبدَ ! - كنتُ

مليكَ جميعِ الرِجالْ .

وحين أعتنقنا

تصَادم ليلٌ وفَجرٌ .

وفي الإنفجارِ تحوّلتِ الأرضُ عُرساً

وجاءَ الشهودُ .

وجاءَ اليمامُ . وجاء النَعامُ .

وسربُ القطا جَاء يحرُسُنا .

كانَ عيدُ البكارة . عيدَ الطهارةِ .

عيدَ البراءةِ .

عيدَ جميعِ الرجالِ . وكُلُّ النِساءْ

أأمّي التي جاءت الآن ؟!

كيف وأمّيَ ماتتْ وكنتُ على

عتَباتِ الرجولةِ ؟!

حُلمٌ جديدْ !

وأمّي التي تغسلُ الآن وجهي .

وتلثمهُ . وتقولُ :

« سحيمُ !

سحيمُ !

سحيمْ !

أتذكرُ كم ذا نصحتُكَ ؟ كم ذا زجرتُكَ ؟

قلتُ « ابتعدْ عن خيام النساء ! » .

« ما كنتُ ، يا أمُّ ، أتبعُهنَ .

ولا كنتُ ، يا أمُّ ، أجبُرُهنَ .

ولا كنتُ ، يا أمُّ ، أقنعُهنَ .

ألا تذكرين . وقد كنتُ في العشرِ والخمسِ .
حينَ مرِضتُ .

وجئن ... وجئنَ ... وجئن ؟!

« تجمعّن من شتّى .. ثلاثٍ وأربعٍ .
وواحدةً .. حَتى كمُلن ثمانيا
وأقبلنْ منْ أقصى الخيامِ يعدُنني
نواهْدَ .. لم يَعرفْن خلقاً سوائيا
يعُدن مريضاً هُنّ هَيَّجن داءَه
ألا إنّما بعضُ العوائدِ دائيا »

ويا أمُّ ! حاولتُ أن أتبلّد . حاولتُ أن أتجملدَ .

حاولت أن أتجلّد . حاولتُ أن أتمرَّد .

لكنني عبدُهنَّ !

فكيف أطيق فِراراً .

إِذا ما الجميلةُ قالتْ « تعالِ ! » ؟

وكيف أطيق عناداً

إِذا ما المليحة بالعينِ أوحتْ ؟»

وتجهشُ أمي :

« سحيمُ !

سحيمُ !

سحيمْ !

أَلستَ ترى بعيونِكَ ؟!

سوف يجيئونَ بعد قليلٍ . لكيْ يحرقوكَ .

فهلاَّ اعتذرتَ ؟

وقلت لهم : كاذبٌ كلُّ مَن قالَ أنّكَ

قبّلتَ واحدةً من بناتِ القبيلةِ ؟

هلاّ زعمتَ القصائدَ منحولةً صنعتْها

رُواة الوقيعةِ ؟ »

« يا أمّ ! قلتُ لهم حين جاءوا معَ الفجْرِ :

« إنْ تقتلوني .. فقد أسخنتُ أعينكمْ
وقــد أتيــتُ حرامــاً .. مــا تظنّونــا
وقد ضممتُ إلـى الأحشــاءِ .. جاريــةً
عَــذْبٌ مُقبّلهــا .. ممّــا تصونونـا »

وتصرخ أمّي :
« سحيمُ !
سحيمُ !
سحيمُ !
انتحرتْ ! »
« ويا أمُ ! جاء رقيعٌ يُردّد وهو يمزّقُ جِلدي :

« أوَجعْ عجَان العبْدِ .. أو يَنسى الغَزلْ

بالعرفجِ الرَطْبِ .. إنْ الصوتُ إنخرلْ »

« سحيمُ ! وماذا فعلتَ ؟ »

أجبتُ :

« أبصرتُها تُميـلُ كالوسنـانِ

من الظبـاء الخُـرّدِ الحِســانِ

تمشي بمثلِ القَدَح الجيشاني »

وتصرخ أمي :

« سحيمُ !

سحيمُ !

سحيمُ !

إعترفْ أنَّ ما كان . ما كان .

قُلْ كنتَ تهذي .

وما زلتَ تهذي » .

« أيا أمُّ ! هم أرسلوني اليهِنَّ .

اقسمُ بالله ! كم أرسلوني إليهِنَّ

بَعد الظلامِ . وقَبْلَ الضياءِ .

أغُبقّهنَ . بعُسٌ الحليبْ .

« فأسنُد كسلى بزّها النوم ثَوبْها

إلى الصْدرِ .. والمملوكُ يلقى الملاقيا

فلمّا أبتْ لا تَستْقلُ .. ضممتُها

ترى الحُسنَ فيها والملاحة باديا »

وهُم يُحسبَون الجميلات يَنفرنَ منّي .

لأنَي عبدٌ . غرابٌ شديدُ السوادِ .

ولا يعرفونَ دهاءَ السوادِ الذي يتحوٌّل

عند لقاءِ الجميلاتِ حبلاً . يشدّ الجميلاتِ نحوي .

ولا أستطيعُ فَكاكا .

أنا العبدُ - يا أمُّ ! - عبدُ الجميلاتِ .

كيف أدوسُ الولاءَ ؟

وأزعُم أنّ الذي كان . ما كان ؟

كيف أخوُن القصائدَ . سطّرتُها بدموعيَ في الرملِ .

سطّرتُها بالأظافر في النْخلِ ؟

إنّ حياتيَ - يا أمُّ ! - غِيدُ وشِعرٌ

فكيفَ أخونُ حياتي ؟

« أشعارُ عبدِ بني الحسحاسِ قُمْن له

يوم الفخار .. مقام الأَصل والوَرِقِ »

وكيف أخونُ التي عندما أبصرتني

« أشـــارتْ بمدراهـــا .. وقالـــتْ لتربهـــا :

« أعبدُ بني الحسحاس يُزجي القوافيا ؟! »

رأتْ قَتَبـــا رثّـــاً ... وسُحـــقَ عبـــاءةٍ

وأسَـــوْدَ ممّـــا يملـــكُ النـــاسُ عاريـــا »

ولكنها عشقتني ؟! »

وترحلُ أمّي .

جميلةُ كلِّ الجميلاتِ أمّي !

مليكةُ كلِّ المليكاتِ أمّي !

تخافُ عليّ رجالَ القبيلةِ . تطلب مني

الخيانةَ . كي لا أموتَ .

أموتُ ؟!

متى خِفتُ من ضمّةِ الموْتِ ؟!

ما خفتُها وأنا الطفلُ يلعبُ بينَ الوعولِ

وبَيْنَ السباعِ .

ما خفتُها وأنا ولدٌ عاشقٌ . هددّوه بذبْحٍ .

« وماشيـــةٍ مشـــيْ القطـــاة اتبعتّهــا
من السْترِ .. نخشى أهلَها أن تكلّما
فقالتَ له : « يا ويْحَ غيرِكَ ا إنّني
سمعتُ كلاماً بَيْنَهم يقطرُ الدَما »
فنفــضَ ثوبْيــهِ .. ونَظَــر حَوْلــه
ولم يخش هذا اللَيــلِ أن يتصرّمــا
نُعفّـــى بآثــار الثيـــابِ مَبيتَنـــا
ونلقطُ رفضاً منْ جُمـــانٍ تحطّمــا »

وما خفتُها ـ وأنا العبدُ ! ـ أهجمُ
قبلْ الفوارسِ . قبْلَ شديدي البياضِ .

أكرُّ . أخوضُ الصُفوفَ . كأنّي أخوضُ غديرا .

وما خِفتُها والسهامُ تطنٌّ بإذُني طنينَ الذُبابِ .

ما خِفتها والسيُوف تنقٌّ نقيقَ الضفادعِ .

ما خِفتها والرماحُ تراقصُ مثلَ السنابلِ .

والحربُ تغلي .

« وخيلٍ تكدَّس بالدارعينَ

مشىَ الوعولِ .. تؤُّم الكِهافا

ضوْامرَ .. قد شفَّهن الوجيفُ

يثُرن العُجاجة دونِي صِفافا

تقدّمتُهنَ ... على مرجلٍ

يلوكُ اللجامَ إذا ما استهافا

يباري من الصمُّ خُطيّةً

مقوًمة .. قد أقيمت ثقافا »

وهل يجزعُ الكَهْلُ من ضمّةِ الموتِ .

وهو الذي رَضَع الموْتَ قَبلْ الوِلادةِ .

في الرحْمِ . رحمِ الجُنونْ ؟!

ومن أين جاءَ الجنونُ . جنُون السوادِ . جنونُ النساءِ .

جنُون القصائدِ ؟!

هل جاءني من أبيَ الحبشيّ ؟

أبي ؟!

ما رأيتُ أبي قطٌّ .

كم كنتُ أسألُ أمّي . وتطرِقُ أمّي .

تقولُ :

« أبوك مضى ذاتَ فجرٍ . مَضى لم يعُدْ .

كُنتَ أنتَ جنيناً » .

وتسكتُ أمّي . وأسكتُ .

أعرفُ أن أبي كان أطوْلَ

من كل نَخلْة

وأن أبي كان إن سارَ يتركُ

فوْق الشواهقِ ظِلّهْ .

وأن أبي حربةٌ كان من شجر الأبنوسِ

الأنيقِ العريقِ . سليلَ العماليقِ كانَ .

واعَرِفُ أنّ أبي كان سِحراً تجسَّد .

كان يغنّي فتصغي الطيورُ .

ويبكي فتذوي الزهورُ .

وكانت تطاردهُ كلّ أنثى . ويَهربُ منهّنَ .

يَركضُ . يُهرَعْن في الليل .

- كلُّ الإناثِ القُدامى العَذارى الملاح القباحِ -

يُهرولَن نحو عجوزِ القبيلةِ . يسألنَه السِحْرَ .

يطلُبن منه العَقاقيرَ .

يرمينها في الغديرِ .

ليشربَ منه أبي . ويهيمُ بهنَّ .

وكان أبي السحرَ .

كيف يؤثّرُ في السحرِ سحرٌ ؟!

ويشربُ ماءَ الغديرِ . ويضحكُ منهُنّ .

كان أبي السِحرَ . في دمه السحرُ .

والسحرُ سافَرَ من دمهِ لدمائي .

ورِثتُ الجُنونَ . ورثتُ الجميلاتِ .

لكنني صرتُ عَبْدَ الجميلاتِ . وهو الذي عاش

ذاكَ الخَيال النَفورْ .

وما اسم أبي ؟!

كنتُ أسالُ أمّي . تقولُ :

« نسيتُ » .

وما نسِيتْ !

أنا أعرف أن أبي لم يُبحْ بإِسمه قطُّ .

لو بَاحَ كانَ تمكَّن من قلبهِ السَحرُ .

كان يقولُ : « أنا إسـمي زعيـمُ الصقورِ » .

وحيناً يقولُ : « مليكُ النمورِ » .

وحيناً يقولُ : « أميرُ السحابِ » .

وحيناً يقولُ .

وكيف عرفتُ وقد كنتُ ساعةَ غابَ جنينا ؟!

عرفتُ من الحُلْم .

كان يجيءُ ، وما زالَ ، في النْومِ ، يُخبرني

كلَّ ما كانَ . لكنه لم يُبح بإِسمهِ قطُّ .

لو زارني الآنَ . والنارُ تلهثُ قُربي .

لقبّلني باعتدادٍ . وقال :

« سحيمُ !

اصطبرْ للحرائقِ

صَبْرك للظفْرِ ينقشُ في عضلاتِكَ

مجرىً صغيراً مِنَ الدمِ .

صْبرك للفَمْ يتركُ فوق زنودِكَ

وَشْمَ اللآلي الصغيرةِ .

صبركَ للعشقِ تبلُغ ذروته ، حين

يَبلُغنها ، في عُواءِ الحريقْ »

أبي فرَّ يقفِزُ فَوْق التلالْ .

كما كان يَقفزُ فَوْقَ الغُصونَ .

أبي الحبشيُّ الذي ما رأى غيرَ أدغالِه .

والجبالِ المُغطّاةِ بالعُشُبِ .

لم يُبصر الجْمرَ في القْفرِ .

لم يأكلِ الضَّب .

ما كان قُربيَ . حين ضَللتُ طريقي .

وحين ظمئتُ . ظمِئتُ . ظمئتُ .

وكدتُ أموتُ .

وحين تفجّر قلبُ السرابِ .

وأسماءُ لاحتْ . وفي يدِها قُربة الماءِ .

أسماء جَاءتْ .

« سقتني على لوْحٍ من الماء شربةً

سقاها بها اللهُ الذهابَ الغواديا »

وأسماءُ تنتهبُ الآن عقلي !

شربتُ . شربتُ . شربتُ . وقالتْ :

« روَيدْك ! فالرِيّ يقتلُ مثلَ الأوامِ »

ضحكتُ . وقلتُ :

« فديتُكِ ! ما اسمُكِ ؟! »

« أسماءُ » ، قالتْ . وقلتُ :

« أأسماءُ !

ما أجملَ الرِيَّ يقتلُ !

كم ذا تمنّيتُ لو مِتُّ ريّانَ .

ها أنذا الآن . أشربُ . أشربُ . أشربُ .

حتى أموتَ . وإن مِتُّ ـ أسماءُ ! ـ صبيّ عليّ

مِن البئْرِ . ثم ادفنينيَ بالقُربْ مِنها . »

وتضحكُ أسماءُ . تضحكُ . تضحكُ .

« أسماءُ !

أسماءُ !

أعشقُ ـ أسماءُ ! ـ إِسْمَكِ .

إِسمُكِ أوسمُ إسمٍ .

توسّمتُ في سمْتِهِ سِمَةَ المسِّ والماسِ

والميْسِ والوسمِ ! »

قالتْ تضاحكُ :

« مالك تهذي ؟! »

وما كنت أهذي .

« أقلب ـ أسماءُ ! ـ إسمكِ . بينَ شفاهي .

فيصبحُ ماءً . ويصبح أمّاً . ويُصبحُ سُمّاً .

ويمسي مساءً . ويغدو سماء . »

وتضحك أسماءُ :

« ما زلتَ تهذي ! »

وما كنتُ أهذي .

« أداعبُ ـ أسماءُ ! ـ إسمكِ . أحذفُ منه .

أضيفُ إليهِ .

أأسماءُ من يعرفُ الإسمَ . يَمتلِكُ

الجِسمَ بالسحْرِ . أني سحرتُكِ !! »

تضحكُ أسماءُ . تضحكُ . تضحكُ . ثم تقولُ :

« صدقت ! أحسّ بأنيَ مسحورةٌ بكَ .

مأخوذةٌ بِكَ . كيفَ تمكّنت مِنْ خطفِ قلبي .

الذي ما تنفّس قَبْلَك . كيف تمكّنت ؟! »

قَامتْ تَضاحَكُ .

قلتُ : « متى الوْعدُ ؟! » قالت :

« أراك هنا حين يبدو سهيلْ » .

وحيث أطلّ سهيلُ أطلّتْ .

وقلتُ لأسماءَ :

« هذا سهيلُ أشدّ النجومِ بريقاً .

وعبدك هذا سحيمُ . اشدُّ العبيدِ سواداً » .

وقالتْ :

« سحيمُ ! تُعلّمني الشِعْرَ ؟! »

قلتُ :

« اكتبي ، ها هنا ، في ضياء سهْيلَ ، على الرْملِ

سطراً . فَعولن فعولن فعولن فعولن » .

وخطّتْ على الرملِ سطراً .

وقلت :

« وخطّي : بعيدٌ . بعيدٌ . بعيدٌ . بعيدْ » .

فقالت :

سهيلُ بعيدٌ . بعيدٌ . بعيدْ » .

فقلتُ :

« وخُطّي . جميلٌ . جميلٌ . جميلٌ . جميلْ » .

فقالت :

« سحيمْ جميلٌ . جميلٌ . جميلْ »

وقلتُ :

« تريدينَ أن تكتبي الشِعْرَ ؟! .

قالت :

« أريدُ . أريدُ . أريدُ . أريدْ » .

فقلتُ :

« إذن أرهفي السمع حين يخرُّ المَطرْ
فوزنُ القصيدةِ صوتُ المَطرْ
إذنْ أرهفي السمع حينَ يغنّي الحَمامْ
فوزنُ القصيدةِ شَدْوُ الحمامْ »

وأسماءُ تُدني إليّ فماً

فيهِ مِنْ عَبَقِ الغيْثِ عطرٌ . وفيه إبتهالُ الحَمَامْ .

وقبّلتُها !

صارتِ الأرضُ شِعراً .

« أأسماءُ !

ها أنت ذي تكتبين بثغْرك شِعراً »

وقَالتْ : « ومن أيّ بحرٍ ؟ »

فقلتُ لها :

« هو بحرُ الغرامِ . وبحرُ الهُيامِ . وبحرُ الحُمامْ »

وتُذعَرُ أسماءُ : « أَيٌّ حُمامٍ ؟! » .

فهل كنتُ ، لحظَتَها ، اتنبّأُ

بالموتِ محترقاً ؟ أم تراَنيَ كنتُ

أمارسُ جَلجلَةَ الْموتِ في شفتيها ؟

« أحبُك حتّي يملَّ سهيلُ بريقَه .

وحتّى يملَّ الحمارُ نَهيقَهْ .

وحتّى يملَّ الغُرابُ نَعيقهْ »

وتضحك أسماء :

« أنتَ الغرابُ . وتنعقُ !

أنتَ غرابٌ عجيبٌ . عجيبٌ . عجيبْ . »

أقول :

« أحبُّكِ ما دام في القفرِ شَوكٌ .

وما دام في سُرَّة الظبْي مِسكٌ .

وما دام في شَجَرِ الصمغِ صمغٌ .

وما دَام يَسكنُ ظَهر البعيرَ السَنامْ »

وتضحكُ أسماءُ :

« هذا هو الشعرُ ؟!

شوكٌ ؟! وسُرَّةُ ظبيٍ ؟!

وصَمْغٌ ؟! وظهرُ بعيرْ ؟! »

وأهمسُ :

« أسماءُ !

حين تحبّين يَنبتُ للشوكِ وردٌ .

ويطّلعُ من سُرّة الظَبْيِ وردٌ .

ويَنبتُ من شَجَرِ الصمغِ وردٌ .

ويحملَ ظهرُ البعيرِ سلالَ الورودْ . »

وتسأل أسماءُ :

« ما الوَرْدُ ؟! »

« أسماءُ !

هذا الذي يلسعُ الآنَ بالموتِ والخُلْد ثغرىَ .

هذا هو الوَرْدُ ! »

والفجرُ يدنو .

وأسماءُ تجمعُ من فوقِ بَطني ضَفائرَها .

وتقولُ :

« أتنشدُ بعْد غيابيَ شِعراً ؟ »

« سأنشدُ » .

« ماذا تقول ؟»

أقولُ :

« لَيَالِيَ تصطادُ القُلوب بفاحمٍ
تراه أثيثاً .. نَاعِمَ النْبتِ .. عافيا

وجيداً كجيدِ الريمِ .. ليسْ بِعاطلٍ
من الدُّر .. والياقوتِ .. والشَعرِ .. حاليا

كأنّ الثريّا عُلّقتْ فوقْ نحرها
وجمْر غضىً هبّت له الرِيحُ . ذاكيا »

وتضحك :

« أحسنَت ! زِدْني ! »

أقول :

« توسدّني كفاً .. وتثني بمعصمٍ
عليّ .. وتحوي رِجْلها مِن ورائيا »

وتصرخُ :

« يا للغُراب . البذيءِ . القميءِ . الكذوبْ ! »

وتذهب أسماءُ .

ثم تجِيءُ سميّةُ غاضبةً . وتقولُ :

« تخوُن عهودي ؟!

بعيني رأيتُك تلثمُ أسماءَ .

تُنشِد في وَصفِها الشعر » .

أهمسُ :

« ما خنتُ عهْدكِ . لكنني عَبدُكنّ جميعاً .

وأسماءُ تملِكني . مثلما كنتِ تمتلكينيَ .

هل كُنت أعصيكِ ؟

هل يَجرؤ العبدُ أن يتمرّد ؟ »

تبكي سميّةُ .

ثم يجيءُ الدخانْ .

يجيء أبو مَعبدٍ . سيّدي .ويقولُ :

« سحيمُ !

سحيمُ !

سحيمْ !

حميتُك عبْرَ السنينِ . ولكنني الآن

لا أستطيعُ . وأخشى إذا حلتُ

ما بينهم واصطلامِكَ . أن يحرقوني

مثلك . أقسمُ باللهِ ! .. »

أهتفُ :

« مولاي ! جندلُ !

من ذا يلومُك ؟!

حاولتَ أنتَ . وأمّيَ من قبْلُ كانتْ تحاولُ .

حاوَلتَ جُهدَك . »

جندلُ يسألُ :

« تذكرُ حين شكوك إليّ ؟!

وتذكرُ حين وقفت أمامَ الأميرِ ؟!

وحيْن سُجِنتَ ؟! وحينُ جلدتَ ؟! »

وأضحكَ :

« مولاي !

أذكرُ أنَي قلتُ :

« أبا معبدٍ ! بئس الفراضَة للفتى

ثمانون . لم تتْرك لحلفِكِم عبْدا

كسوني غَداة الدار سُمْراً .. كأنّها

شَياطينُ .. لم تُتركَ فؤاداً .. ولا عهدا

فما السجنُ إلاّ ظلٌّ بيتٍ سكنتهُ

وما الجَلد إلاّ جِلدةٌ خالطتْ جِلدا

أبا مَعبَدٍ ! واللهِ ! ما حلَ حُبّهَا

ثمانُون سوطاً بل تزيد بِها وجدا »

وجندلُ يدنو . ويهمسُ :

« حاولتُ بالزجرِ . واللوْمِ . والسجنِ . والجَلْدِ »

اضحك :

« والآن ، يا سيديّ ، الكيُّ ! »

يَعبِس :

« حاولتُ . كم قلتُ : « يا قومُ ! يكذبُ »

كم قلتُ : « يا قومُ ! من ذا يصدِّق أشعارَ عبدٍ ؟

وأيُّ فتاةٍ تهيمُ بأسْودَ ؟»

حين يجيئون قُلْ كنتَ تكذبُ .

قل من يصدّق .. »

« مولاي !

عفْوكَ !

ما كنتُ أكذُب . قد يَكذِبُ النثرُ . لا يَكذِبُ الشِعرُ .

كلّ الذي قلتُ قد كانَ . قد كانَ ! »

يوشك جنُدل يبكي :

« سحيمُ !

سحيمُ !

سحيمْ !

أَلْست ترى بعيونِكِ ؟ ! »

أهمسُ :

« مولاي !

أعرف ! يقتربُ الموتُ . أعرفُ !

لكنني سوف ألقاهُ لقيايَ كلَّ الجميلاتِ .

ألقاهُ بالوجْدِ والشمّ والضمِّ . ألقاهُ بالقلبِ

واللُبّ .

ما الموتُ مولاي ؟!

كلُّ الأنامِ يموتون .

حتَّى الحساحسْ !!

« رأيــتُ الغَنــــيَّ والفقيــرِ كليْهمــا

إلى الْموتِ ، يأتي منهما الموتُ مُعمِدِا

فإلاّ تُلاقِ الموْتَ في اليومِ فاعلمنْ
بأنّــــك رَهْـــنٌ أن تلاقيَــه غــدا

فتصبَح في لْحدٍ من الأرض ثاوياً
كأنّك لم تشهْد مِن اللهْوِ مَشهَدا

ولـم تْلهُ بالبيضِ الكواعبِ كالدُمى
زماناً . ولـم تقعد من الأرضِ مقعدا

ولـم تَزع الخْيل المُغيرةَ بالضُحى
على هيكلٍ نهدِ المراكل أجردا »

أمولاي ! إني لهوتُ . لَعِبتُ مع البيضِ .
غِرتُ مع الخيلِ . إني شَرِبت حَياتيَ . حتى الثمالةِ .

حتّى ظمئتُ إِلى المْوتِ . إني لأَحسِبُ
مَقدِمَه رعْشةَ الوصْلِ . أحسبُ راحتَه
لمسَةَ القُربِ .
يصرخُ :
« أصبحت تهذي ! سحيمُ ! جُننتَ ! »
أقول :
« جنونيَ هذا عريقٌ عريقْ . وُلِدْتُ به .
جاءني من أبي الحبشيِّ الوسيمِ العريْقِ .
جُنونيَ هذا تمنّاه كُلّ حكيم .
يمرُّ على الأرضِ مثل الغُبارِ .
ولا تتذكّرُ قُبلتَه أيُّ حسناءَ .
لا تتذكّر ضمّته أيُّ هيفَاء . »

يذهبُ جَندلُ . مُنكسَرِ الطْرفِ .

مُنخفضَ الرأسِ .

واليومُ ينتصفُ الآن .

والشمسُ تلهِب جِسمي . كما ألهبته عميرةُ .

آهِ !

عميرَةُ !

لا تدخلي الآن فكري !

عميرة ! آهِ ! عميرةُ كانتْ فَتاة البراكينِ .

تَلمسُني فتحوُّل فَحميَ جمراً .

وفي ليلة القَّر . كانت تقولُ :

« إِصطليتُ بجمركَ ! »

كنتُ أنا المصطلي . كنتُ أنشِقُ ناراً . وَأزفُر نارا .

وكَانتْ عميرةُ ، في ليلةِ القرِّ ، تَنوفُ دفئا .

« وهبّتْ لنا ريحُ الشمال بقرّةٍ
ولا ثوْب . إلاّ بُردها وردائيا

أقبّلُها للجانْبين ... وأتّقي
بها الريح .. و الشفّانَ مِنْ عَن شَماليا

وأشهدُ عندْ الله أنْ قد رأيتُها
وعِشرين منها إِصبعاً مِنْ وَرائيا »

أنارُ عمْيرةُ أشهى . أم النارُ هذي
التي أوقدوها لتَغسِل ما الصق الشِعرُ بالعِرضِ .
ما فَعل العبدُ بالحرِّ ؟
ما ألصقَ الشعرُ ؟!

هل تحرقُ النارُ شِعراً ؟

تظلُّ القصائد فوْق شفاهِ الرجالِ .

وفوْق نُهود النساءِ .

وفوْق رؤوس النخيل .

فكيْف بحرقِ جميع الشفاه .

وكلُّ النهود . وكلُّ النخيلْ ؟!

ما فَعَل العبْدُ ؟!

هل كنتُ أثأر للسودِ ؟

أحملُ فأس العبيدِ وأهوى به

فَوْقَ رأسِ قرونٍ من الذلّ ؟!

هل كنت أحملُ ثورة أسْودَ مزقَّه السوطُ ؟

نقمة سوداءَ لوّثها البيضُ ؟!

لا !

كنتُ أنشدُ . والبيض يأتينَ .

كان قِراهُنّ شِعري وجِسْمي .

وما كنت أثأرُ . بل كنت أعشقُ .

ما كنتُ أحقدُ . بل كنت أغدُقُ .

والشمسُ توشك أن تدخل الآن راسي .

وأغمضُ عينيّ . أحلمُ . أحلمُ .

أحلُم بالغيثِ . والرْعدِ . والبرقْ .

« .. يضيءِ سناهُ الهضْبَ .. هَضْبَ مَتالعٍ

وحُبَّ بذاكَ الهضْبِ .. لو كان دانيا !

نعمتُ به عيناً .. وأيقنتُ أنّهُ

يحطّ الوعْولَ .. والصخور الرواسيا

بكى شجوهُ .. واغتاظَ .. حتّى حَسِبتهُ
من البُعد ، لما جلجل الرعدُ ، حاديا »

وينهمر الغيثُ .
يحملني السيلُ .
يحملُني .
ثم يقذفُني عند وادٍ قديم حبيبْ .

« الا ايها الوادي .. الذي ضمَّ سيْلَه
على أثرَ الحسناء ! .. بُوركتَ واديا !

فياليتنـــي والعامريّـــةُ ... نلتقـي
نـرود لأهلينـــا الرِيـــاضَ الخواليـا »

نرودُ الرِياضَ .

هنا روْضُة الأقحوان .

وذلكَ روضُ الخُزامى .

وانسجُ للعامريّة تاجاً من الأقحوانِ .

وطوْقَ خُزامى .

« سلاما ! »

وأفتح عينيّ .

غاليتي ؟! أم هو الحُلُم ؟!

« غاليتي !

كيف جئتِ ؟! »

تقول :

« سحيمُ !

سحيمُ !

سحيمْ !

سيأتونَ بعدَ الغروب . لكي يحرقوكَ .
سمعتُ الكلام بأُذنيَ . وكانوا سُكارى .
وكانوا غَيارى .
سيأتون ! .
ماذا ستفعلُ حين يجيئُونَ ؟
قُل كنتَ تكذِبُ . قُلْ أيَّ شيءٍ . »
واضحكُ . اضحكُ . اضحكُ .
تعجبُ غاليتي وتقولُ :
« أتضحك والموت يكمُن عنْد المغيبِ ؟!
أتضحك ؟! . . » .
« اضحكُ إذ اتذكّرُ يومْ لقيتُكِ .
هل تذكُرين القصيدة ؟

« وجيداً كجيدِ الغزالِ النزيفِ
يأتلـفُ الـــدرُّ فيــه إئتلافـــا

وعيّنيْ مهاةٍ . . . بسقطِ الجمادِ
تعطو نعِافا . . . وتقرو نعافا »

« سحيمُ !
هو الموتْ ! »

« كأنَّ القرُنفلَ . . والزنجبيلَ
والمِسك . . خَالط جَفْناً قطَافا

يخالــطُ مــن ريقِهـا قهــوةً
سباها الذي يستبيها سُلافا »

« سحيمُ !
هو الموتْ ! »

« يخالطهُ .. كلّما ذُقتُهُ
على كلّ حالٍ أردَت إرتشافا

وأَبدَتْ معَاصَم ممكورةً
تزينُ أنا مِلهنَّ اللِطافا »

« سُحيم !
هو الموتُ ! »

أعرفُ ما الموتُ ... يا غاليةْ
وقد عشتهُ - بالموتِ يعاشُ ! -
مساءَ إفترقنا .

« أشوْقاً . . . ولمّا تمضِ بي غيرُ ليلةٍ
فكيْف إذا سار المطيّ بِنا عشرا ؟! »

وكَمْ كنتِ فاتنةً . ودمُوعكِ
تقطرُ فوْقَ الرمالِ .
كَمْ كنتِ ساحرةً . ونَشيجُكِ
يرحلُ عبْرَ الجبالِ .
كَمْ كنتِ رائعةً . وشفاهُك
تسكب ليَ الموْت . .
في قبلةٍ بَعْد قبلة . »

« سُحيم !
هو الموتُ ! »

« الموت أنّي قضيتُ بدونكِ هذي السنينَ .
أفكّرُ فيكِ . وأكتُب عنكِ .
وأخشَى عليْكِ . فأختارُ أسماءَ أُخرى .
واختار دْعد . واختار سلمى . واختارُ ليلى »

« سحيم !
هو الموتُ ! »

« الموتُ إلاّ تمسَ شفاهي ثغرَكِ .
الاّ تذوقَ كُروميَ خَمرَكِ .
الاّ تداعب كفّايَ شعرَكِ . »

« لَكنْ سحيمُ !
هو الموتُ ! »

« ما الموتُ ؟!

ما الموتُ ؟!

ما الموتُ ؟!

الموتُ كان صديقيَ ، مُنذ البدايةِ ،

كانَ رفيقَ خطايْ .

وفي لَحظات التوحّدِ . كنت أحسُّ

بأنفاسهِ حين ألهثُ .

في الأمسياتِ الطويلةِ كان حُداءَ الجمالْ .

وكان يخوضُ المعارك بالقرب منّي . »

« سُحيم !

هو الموتُ ! »

« غاليتي !

كم أخافُ

ينمُّ عليكِ الرقيبُ .

ويصبحُ سرُّ حياتي الذي ظلّ

عبْر العقودِ حَبيس ضلوعيَ .

ملكَ الحساحِس .

أخشى عليكِ .

اذهبي الآن !.»

تحجُل غاليتي في الدموعِ .

وتقبلُ أمّي :

« سُحيمُ !

توسّلْ ! تضرّعْ !

وقبّلْ يدْي كلّ أبيْضَ أنشدتَ

في أهلهِ الشِعرَ » .

« يا أُمَّ !

يــا أُمُّ !

إِلاّ الخيانةَ!

إِلاّ الخيانةَ ! »

هذا أبي جاءَ .

يَصرخُ :

« حمقاءُ أُمّكَ !

مُت مثلما عِشْتَ . منتصبَ الرأسِ .

ذكرى الضفائر فوق زنودِكَ .

والشبقُ العذبُ يهصرُ روْحَكَ .

مُتْ مثلَ وعلٍ ! »

« وكيف تموت الوعول ؟»

أبي فرّ يضحكُ :

« حين تموتُ سحيمُ .

ستعرف كيف تموتُ الوعولُ . »

واغمضُ عينيَّ . أصبحُ وعلاً . شديدَ السوادْ .

يطاردهُ البيضُ .

لكنه يرتقي في الجبالِ .

وهم خلفه يعثرون . ويستمطرون الرُماةَ .

تطيرُ السِهامُ . وتدخِلُ في جلدِه .

وهو يَصعدُ . حتى يَراهَم على السَّفحِ .

وهو على ذِروة الريحِ .

يقفزُ في الريحِ .

ضحكٌ بذيءٌ .

ويَشردُ حُلمي .

بثينةُ تدنو .

وتبصقُ .

ترقصُ محفوفةً بصغارِ الحساحِس .

تهزُجُ :

« هيا ! احرقوا العبْد ! »

تضحكُ .

أنظرُ وجه بُثينة . ثم أقولُ :

« فإن تضحكي منّي .. فيا رُبَّ ليلةٍ

تركتُكِ فيها ... كالقَبَاء المُفرَّج »

تفرُّ بثينةُ مذعُورةً .

بُورك الشِعرُ !

يلسعُ كالنارُ . يحرقُ كالنارِ .

لكنه حين تذوي جميعُ الحرائقِ .

يبقَى . يشُّب على جَبْهةِ الدْهرِ .

ما لي ومَا لبثْينةَ ؟

كانت تجيءُ . إذا زوجها نامَ .

تشهرُ كلّ خداعِ الثعالبِ . كي تستثير .

وما كنتُ أعشقها .

كنتُ اسلَمها جَسَدي .

كيْ تمارَس فيه إنتقاماً من الزوجِ .

ما لي وما لبُثَينةَ ؟!

هندُ تجيء من الأفقِ . تسألني :

« أو تذكرُ ما قلْتَ عني ؟! »

أقول :

« أجلْ ! قلتُ عنكِ :

« وقد كنتُ أشكي للَعَزاء .. فشَاقني

لهْنـــدَ .. بصحــراءِ الجُبيــل رُسـوُم

لهْندَ .. وأتراب لهــا شبــهَ الدُمــى

يَصِدنْ .. فما ينجــو لهُنّ سَليــمُ »

تحاسبني هندُ :

« مالك تذكرُ أترابَ هِندَ ؟! »

وأضحك :

« هندُ !

ألا تُذكرين . وقد كنتُ أرجوكِ وَحْدكِ .

كيف أتيتِ . وكانت بقربك ميٌّ ؟!

وكيف وقفتُ . أقلّبُ عينيَّ بين القطاتين ؟! كيف تحيّرتُ ؟!

ساعتها قلتْ :

« بكَتْ هذه .. وأرفضَّ مدمعُ هذهِ

وأذريتُ دمعي مــن خِلال بُكاهُمـا

تمنيـــتُ أن القاهُمـــا ... وتمنَّيـــا

فلما التقينا .. استحييا مِن مناهما »

« سحيمُ !

إذنْ كُنتَ تعشقُ ميًّ ؟! »

« أنا ـ هندُ ! ـ عبدُ الجميلاتِ .

أصبو لكلِّ الجميلاتِ . لكن بعضَ

الجميلات يَعبُرنَ مثلَ السحابةِ .

بعضُ الجميلاتِ يرسَخَن في الروحِ .

كالنخل يمعنُ في الأرضِ . »

« هل كنتُ مثلَ السحابةِ ؟! »

« لا ! هندُ !

بلْ كنتِ نخْلَة قلبي .

شفاهُك ترنيمةُ الرُطبِ السُكريُّ .

وشعرُكِ هذا هديلُ الذوائبِ .

قدُّكِ هذا شموخُ الجذوعِ » .

النخيلُ !

النخيلُ !

النخيلْ !

أأربط بالحبلِ في النْخلِ ؟!

كنتُ أنا فارسَ النْخلِ .

انتهبُ الجِذعَ وثَبا .

وما بالُ ميٍّ تعاتبُني الان :

« تعشقُ هِنْدَ ؟ وكنتُ الحبيْبةَ

من قبلِ هنْدَ ..؟! »

واضحكُ ! :

« يا ميّ !

إنّكِ سِدرةُ قلبي !

وللسدرِ سِحرٌ ، وللنخلِ سحرٌ .

وسِدرةُ قلبي ، إذا جُنت الشمسُ ،

تحضنني بسواعِدها الخُضْرِ . تطعمُني

النبْقَ . تسترُني عن عيون الوشاةِ .

يا ميّ ! ... »

ما للغبار يثورُ ؟

وللشمس تجنحُ للغربِ مثل غزالٍ

يفرُّ من الذئبِ ؟

جمعُ الحساحسِ اقبلَ !

جمعُ الغيارى السُكارى .

وفي صوتهم بحّةُ الموْتِ .

أرفع نحو السماءِ عيوني .

واجهشُ :

« يا ربُّ !

أسلمتُ وجهي إليكَ .

وفوّضتُ أمري إليكَ .

والجأتُ ظهري إليكَ .

وهل ملجأٌ منكَ إلاّ إليكْ ؟

ويا ربُّ !

تعرفُ أنّي عَصيتُ كثيرا .

وتُبتُ كثيرا .

وعدتُ كثيرا .

ويا ربُّ !

هذي جهنّمُ قبل جهنّمَ !

هم يحرقُوننيَ بالنارِ .

ما كان للعبْدِ أن يحرقَ العبْدَ

بالنارِ .

والعبد ـ يا ربُّ ـ عبدُكَ .

يطمعُ حين يجيئُك أن تَغفر الذَنْبَ .

يا ربٌّ !

عبدُك يعلمُ أنك أعدلُ مِن أن تعذّب بالنارِ في الأرضِ عَبْدَك .

ثم تعذّبه في جهنَّم .

يا ربٌّ !

عبدُك يَطمعُ بالحورِ في جنة الحورِ .

يا ربٌّ !

عبدُك وحْدَك .

وَحْدك .

آمنتُ أنَّك ربّيَ وَحْدَك .

تملكُ وحدَك !

تأمرُ وحْدكَ !

تحرقُ ، إن شئتَ ، بالنار ، وَحْدكَ

تغفر ، إن شئت ، وحْدكَ .

وَحْدَك !

وحدَك ! .. »

ها هو ذا الجمع . يصخُب حولي .

تخرُّ الحجارةُ من كل صوبٍ .

وأُسحبُ . بالحْبلِ كالحبلِ .

تقتربُ النارُ .

أشعرُ بالوخْزِ .

أشعر أنّ الدُخان يسلُّ على رئتي السيف .

يحرثُ فيها .

واغمضُ عينيَّ .

والوخزُ يعقبه اللسْعُ . واللسع يعقبه اللدغُ .

واللدغُ يصبحُ حرقا .

تشبّ الحرائقُ في قدمي

ثم تَعلو .

وتَعلو .

وتقتربُ النارُ .

أُسحَبُ كالحبلِ بالْحبلِ .

أُتركُ فوْقَ اللهيبِ .

واسعلُ . اسعلُ . اغفو .

أفيقُ . أرى بعضَ جسمي دُخاناً .

أشمّ الشِواء .

وأغفو . أفيقُ . وأغفو .

وجمع الحساحسِ حَوْلي سُكارى .

يَمورُونَ . يرتجزون .

وهمْ يبصروني كشاةٍ .

ألوبُ على الجمرِ .

ثم أتمتمُ .

يقترب الجمعُ :

« ماذا تقولُ ؟ » .

أقولُ :

« شدّوا وثَاق العْبدِ لا يفلتُكمُ

إِنَّ الحياة من المماتِ قريبُ

فلقد تحدّر من جبينِ فتاتِكمْ

عَرَقٌ علي ظَهر الفراشِ .. وطيبُ »

ويختنق الجمعُ بالصمت . والعارِ .

يا بُورك الشعرُ !

يلسعُ كالنارِ . يحرق كالنار .

هذا أبي جاء . يأخذُني معه .

ثم نقفزُ فَوْق رؤوسِ الجبال .

بعيداً بعيداً .

وراء السفوح .

أرى النارَ وهي تمجُّ دُخاناً .

أقول :

« لَعَمْرِ أبي المُذكَين والمُضرمِ الـذي

يشبُّ - ولا يالو - علـــيَّ جهنّمـــا

لئن ورثّوهـا مُشعليـــن .. لرُبّمـــا

جَعلتُ لهم فوْق العرانين ميسما »

تفرُّ حروُفي .

وتصبح عاصفةً من لهيبٍ .

تمرُّ على نارهم فتموتُ !

ما أَعظَم الشعرَ !

يلسع كالنارِ . يحرقُ كالنارِ .

لكنه حين تذوي جميع الحرائق .

يبقى . يشبُّ على جبْهةِ الدهرِ .

نقفزُ فوق رؤوس الجبال .

أنا وأبي . وهو يضحكُ ثم يقولُ :

« سحيمُ !

أأدركت كيف تموت الوعولُ ؟! »

أغسطس / سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٥

من مؤلّفات الدكتور غازي عبدالرحمّن القصيبي

الصادرة عن المؤسسّة العربيّة للدراسات والنشر

● ورود على ضفائر سناء	(شعر)
● عقد من الحجارة	(شعر)
● سحيم	(شعر)
● الإلمام بغزل الفقهاء الاعلام	(مختارات)
● قراءة في وجه لندن	(شعر)
● التنمية الأسئلة الكبرى	(بحث)
● الأسطورة (دايانا)	(مقالة)
● الغزو الثقافي ومقالات أخرى	(مقالات)
● صوت من الخليج	(مقالات)
● حياة في الإدارة	(سيرة)
● مع ناجي ومعها	(نقد)
● أبو شلاخ البرمائي	(رواية)
● الأشج	(شعر)
● امريكا والسعودية	(سياسة)
● سلمى	(رواية)
● بيت	(مختارات ادبية)